

سورة الحجر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ

الْيَقِينُ}

الحجر (99)

معاني الكلمات :

العبادة في اللغة: الخضوع، والتذلل للغير لقصد تعظيمه ولا يجوز فعل ذلك إلا لله، وتستعمل بمعنى الطاعة.

اليقين: الموت

المعنى الإجمالي

{وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} أي: الموت أي: استمر في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات، فامتثل صلى الله عليه وسلم أمر ربه، فلم يزل داباً في العبادة، حتى أتاه اليقين من ربه صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

وَأَعْبُدْ رَبَّكَ

أَمَرَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - نَبِيَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ، أَي: يَتَقَرَّبَ لَهُ عَلَى وَجْهِ الذُّلِّ وَالْخُضُوعِ وَالْمَحَبَّةِ، بِمَا أَمَرَ أَنْ يَتَقَرَّبَ لَهُ بِهِ مِنْ جَمِيعِ الطَّاعَاتِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ. وَجُلَّ الْقُرْآنُ فِي تَحْقِيقِ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ حَظُّ الْإِنْبَاتِ مِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَعَ حَظِّ النَّفْيِ مِنْهَا. وَقَدْ بَيَّنَّ الْقُرْآنُ أَنَّ هَذَا لَا يَنْفَعُ إِلَّا مَعَ تَحْقِيقِ الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ .

، الَّذِي هُوَ حَظُّ النَّفْيِ مِنْهَا، وَهُوَ خَلْعُ جَمِيعِ الْمَعْبُودَاتِ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ .

وَالْيَقِينُ: الْمَوْتُ، وَيَذُلُّ لِدَلِكِ قَوْلُهُ تَعَالَى: **قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِيِّينَ وَمَنْ نَكُ نَطْعِمُ الْمُسْكِينِ وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ** [74 \ 43 - 47] ، وَهُوَ: الْمَوْتُ.

إنَّ المداوِمةَ على العمل الصالح تمُدُّ المؤمنَ بالهمة على مجاهدة نفسه، وتبعد عنه الغفلة؛ ولهذا حَثَّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - على المداوِمة على الأعمال، وإن كانت يسيرة قليلة؛ ففي الحديث الذي يرويه مسلم، عن عائشة - رضي الله عنها - يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: **((أحب الأعمال إلى الله - تعالى - أدامها، وإن قلَّ))**.

والعبادة معناها في اللغة: الذل، يقال: طريق معبد، أي: طريق منزل قد وطأته الأقدام، ولكن العبادة التي أمرنا بها تتضمن إلى معنى الذل معنى الحب، فمن خضع لله تبارك وتعالى بغير حب فليس عابداً لله، ومن ادعى أنه يحب الله دون استسلام لأمره ونهيه فليس عابداً لله، بل العبادة هي: كمال الحب لله مع كمال الذل لله جل وعلا، وهي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، والإحسان إلى الجيران، والإحسان إلى الفقراء والمساكين، ودروس العلم، والدعوة إلى الله، والتوكل على الله، والصبر لحكم الله، والشكر لله، والخوف من الله، والرجاء، والنفويض، والتوكل، والاستغاثة، والاستعانة، والإنابة، والابتسامة، والعمل الصادق، كل هذا من العبادة. فالعبادة تسع الحياة كلها إن صحت النية، وكان العمل موافقاً لهدي سيد البشرية،

والمؤمن يعبد الله حتى يلقي الله وهو على عبادة، وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم اليقين بالموت كما في صحيح البخاري في قصة موت عثمان بن مظعون رضي الله عنه، وعثمان بن مظعون ممن شهد بدرًا، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: **(لعل الله قد اطلع على أهل بدر**

فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) ، وهو أول من لقب بالسلف الصالح، وكان من الزهاد العباد، وثبتت في رواية في سندها ضعف: (أن عثمان بن مظعون لما مات ذهب إليه المصطفى فقبله بين عينيه، وبكى حتى سالت دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم على خدي عثمان بن مظعون رضي الله عنه)، هذا الصحابي الجليل المبارك (لما مات قالت امرأة من الأنصار يقال لها أم العلاء: رحمة الله عليك أبا السائب -تقصد عثمان بن مظعون - شهادتي عليك أن الله أكرمك، فقال لها المصطفى صلى الله عليه وسلم: وما يدريك أن الله أكرمك؟ فقالت أم العلاء: سبحان الله! فمن يا رسول الله؟! -أي: فمن هذا الذي سيكرمه الله إن لم يكرم الله عثمان بن مظعون؟ - فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: أما هو فقد جاءه اليقين - يعني: الموت- وإني لأجولو له الخير، ثم قال المصطفى: والله ما أدري -وأنا رسول الله- ما يفعل بي ولا بكم!). يا من غرتك عبادتك! يا من غرتك طاعتك! يا من ملأ قلبك العجب والكبر! يا من غرك علمك! هاهو رسول الله أعرف الناس بالله، وأخشى الناس لله، وأتقى الناس لله، الذي غفر له مولاه ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقول: (والله ما أدري -وأنا رسول الله- ما يفعل بي ولا بكم)، اللهم ارزقنا حسن الخاتمة يا أرحم الراحمين. فاليقين هو الموت، فأنت مأمور أيها الموحّد لله جل وعلا، وأيتها الموحدة لله جل وعلا؛ نحن مأمورون بأمر الله لنبيه أن نعبد الله جل جلاله حتى يأتينا اليقين، حتى يأتينا الموت ونحن على عبادة وطاعة لرب العالمين.

(وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ

الْيَقِينَ)

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (222)



فوائدها من سورة البقرة الآية 99

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدّها عزمي إبراهيم عزيز

9- كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حَزَنَهُ امر واشاد عليه خطب، فزع الى الصلاة.

10- أن المسلم الحريص لا ينبغي له أن يغفل عن هذا المعنى الجليل، وهو ضرورة المداومة على العبادة، فمن الحُسْران المين أن يقطع عبادة داوَمَ عليها فترةً من الزَمَن.

11- لا ينبغي أن نصرف العبادة لله تعالى في شهر دون شهر، وفي زمان دون زمان، بل مقتضى العبودية لله تعالى أن يقول الرب جل جلاله: أمرت ونهيت، وأن يقول العبد المؤمن: سمعت وأطعت، هذا مقتضى العبودية، وهذا شعار المؤمن في أي أرض وتحت أي سماء وفي أي زمان.

12- الموت حق لا مرأى فيه ولا شك، ولكن من من المسلمين استعد لهذا اليقين بالطاعة والعبادة؟

13- العبادة - غاية من أجلها خلق الله الخلق: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات:56]، الهدف من هذه الغاية وهذا المنهج من صلاة وصيام وزكاة وحج؛ أن يرتقي المؤمن .

14- العبادة تذكير للإنسان الفاني بالله ربه الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، ولو خلا الإنسان من العبادة لنسي ربه وخالفه ورازقه.

15- لا تقبل العبادة إلا بشرطين:

الأول: الإخلاص: فلا بد أن تكون أعمال الإنسان وعبادته خالصة لله سبحانه، لا يشرك مع الله أحداً، ولا يرجو ثناءً ولا مدحاً من أحد.

الثاني: أن تكون عبادته على وفق ما شرعه الله ورسوله، فمن عبد الله بشيء لم يشرعه الله، فعبادته مردودة عليه غير مقبولة.

والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الفوائد :

1- هذه الآية الكريمة تدلُّ على أَنَّ الْإِنْسَانَ مَا دَامَ حَيًّا وَلَهُ عَقْلٌ ثَابِتٌ يُمَيِّزُ بِهِ، فَالْعِبَادَةُ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الصَّلَاةَ قَائِمًا فَلْيُصَلِّ قَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ، وَهَكَذَا 2- يستدل بها على تخطيط من ذهب من الملاحظة إلى أن المراد باليقين المعرفة. فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم. وهذا كفر وضلال وجهل. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ هُمْ وَأَصْحَابُهُ - هُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللَّهِ، وَأَعَزُّهُمْ بِحَقُوقِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَا يَسْتَحِقُّ مِنَ التَّعْظِيمِ، وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ أَكْثَرَ النَّاسِ عِبَادَةً لِلَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -، وَأَشَدَّهُمْ خَوْفًا مِنْهُ وَطَمَعًا فِي رَحْمَتِهِ. وَقَدْ قَالَ - جَلَّ وَعَلَا -: **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** [35 \ 28].

3- اليقين الذي هو الموت فإن القبر أول عتبة الآخرة وموت الإنسان ودخوله في الدار الآخرة أصبح إيمانه يقيناً محضاً.

4- امتثل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ربه، فلم يزل دائماً في عبادة الله، حتى أتاه اليقين من ربه.

5- إذا كان هذا هو توجيهه الله للنبي صلى الله عليه وسلم الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فأين نحن؟

6- وجوب العبادة طوال الحياة حتى الممات.

7- فيه إشارة إلى أن العبادة تزيد اليقين فيزداد المؤمنون إيماناً إلى إيمانهم، والله غيب السماوات والأرض وإليه مرجع الأمور.

8- المسلم مطالب على سبيل الفرضية بالعبادة التي هي الصلاة على الدوام حتى يأتيه الموت، ما لم يغلب الغشيان أو فقد الذاكرة على عقله، والإسلام يسمح سهل، فعليه أداء الصلاة بأي كيفية يستطيعها، ولا تسقط عنه أصلاً إلا في حال لغيوبة، وبجانب على كل فريضة تركها أو أهملها عمداً، كما قال العبد الصالح عيسى عليه السلام: **وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالرَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا** [مريم 31 / 19].